قصة المتألِّي على الله

(فوائد وعبر)

تأليف

أبي عبد الملك أحمد بن فتحي البكيري

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) سورة آل عمران (١٠٢)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) سورة النساء (١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) سورة الأحزاب (٧٠-٧١)

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

فعَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَ: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أَوْ كَمَا قَالَ)(١).

وعند أبي داود وأحمد من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ: لَهُ أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا..؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ! أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ! فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ)(٢).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

غريب الحديث:

يتألَّى: يحلف أو يقسم.

أحبطت عملك: أبطلت ثوابه.

أوبقت: أهلكت.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢١).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠١) وأحمد (٨٠٩٣) وصححه الألباني في سنن أبي داود (٤٩٠١).

فوائد وعبر:

في الحديث دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته وسمي إحباطًا مجازًا.

ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر أوجب الكفر.

ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا وكان هذا حكمهم.(٣)

وفيه دليل على أن بعض السيئات تحبط بعض الحسنات، ثم تعود بالتوبة منها.(٤)

وأول ما يحبط العمل هو الشرك، قال تعالى: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر ٦٥].

قال الشوكاني: (هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لأن الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك ووجه إيراده على هذا الوجه التحذير والإنذار للعباد من الشرك؛ لأنه إذا كان موجبًا لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى)(٥).

---

(٣) شرح النووي على مسلم(١٦/ ١٧٤)

(٤) فتح الباري لابن رجب(١/ ١٠١)

(٥) فتح القدير (٤/ ٦٧٥)

ومن الأعمال التي تحبط الحسنات ترك صلاة العصر لقوله ﷺ: (مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) (٦).

وفيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أمر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل ١٢٥].

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بِالْحِكْمَةِ، كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبدء بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. (٧)

وقد صف الله عز وجل نبيه بالرحمة ولين المعاملة حتى نتأسى به ونسلك سبيله، قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة ١٢٨].

---

(٦) رواه البخاري (٥٥٣) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٧) تفسير السعدي (١/ ٤٥٢)

وقال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران ١٥٩].

وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء ١٠٧].

وفيه أنه يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستحضر أن لا يكون قصده الانتصار لنفسه أو الانتقام من أخيه بل يكون كالطبيب المخلص الذي قصده دواء هذا المريض الذي مرض بالمنكر، فيعمل على أن يعالجه معالجة تقيه شر هذا المنكر، أو يكون ترك واجبا فيعالجه معالجة تحمله على فعل الواجب، وإذا علم الله من نيته الإخلاص جعل في سعيه بركة، وهدى به من شاء من عباده فحصل على خير كثير وحصل منه خير عظيم. (٨)

وفيه تحريم الإقسام على الله إذا كان على وجه الحجر على الله – سبحانه وتعالى – أن لا يفعل بعباده خيرًا، وأنه مخل بالتوحيد وأن الحلف على الله نوعان:

الأول: إن كان هذا الحلف على الله بأنه لا يرحم عباده ولا يغفر لهم، ولا يدخل أحدًا منهم الجنة فهذا محرم، وهو سوء أدب مع الله تعالى ؛ لأن معناه: الحجر على الله تعالى، ولا أحد يمنع الله من أن يتصرف في خلقه، وأن يرحم من شاء ويعذب من شاء، وأن يغفر لمن شاء ؟

---

(٨) شرح رياض الصالحين(١/ ٢٢٦)

الذي يفعل هـذا قـد أسـاء الأدب مـع الله، وتـنقص الله – سـبحانه وتعالى – فهذا النوع يعتبر مخلا بالتوحيد.

الثاني: أن يكون على وجه حسن الظن بالله أن يفعل الخير، وأن يغفـر لعباده وأن يسقيهم المطر، وأن ينصرهم على الأعـداء، فهـذا لا بـأس بـه؛ لأنه حسن ظن بالله، وقد جاء في الحديث: أن من عباد الله من لـو أقسـم على الله لأبره، وقال النبي صـلى الله عليـه وسـلم: (رُبَّ أَشْـعَثَ مَـدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ) (٩).

ومن الجهل أن يقسم إنسان على الله بأن لا يفعل شيئًا قد قدره الله عز وجل تقديرا كونيًا، مثل أن يقول اللهم إني أقسم عليك ألا تقـم السـاعة، أو ألا تمتني، أو ألا تمت فلان وغير ذلك.

وفيه خطر اللسان وأنه قـد يـزل في كلمـة تهلكـه في الـدنيا والآخـرة، فكيف بالذي يتكلم بكلام كثير من سخط الله ؟ ماذا تكون حالته وعاقبته – والعياذ بالله – كم يتكلم الإنسان من الكلام الذي عليه لا له، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَـا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (١٠).

---

(٩) رواه مسلم (٢٦٢٢).

(١٠) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨).

قال النووي: أي لا يتدبرها ويفكر في قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك وهذا كله حث على حفظ اللسان كما قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك(١١).

كما أن من الناس من يكذب حتى يضحك أخلاءه وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ) (١٢).

وفيه دليل على تحريم إعجاب الإنسان بنفسه واحتقاره للآخرين، وقد دمر الله عز وجل المختالين والمتكبرين من الأمم السابقة مثل قارون الذي قال: إنما أوتيته على علم عندي، ثم خرج في زينته على قومه، وكان مختالاً فخورا متكبرا فدمره الله عز وجل هو وغيره من المعجبين.

---

(١١) شرح النووي على مسلم(١٨/ ١١٧).

(١٢) رواه الترمذي (٢٣١٥) وأبو داود (٤٩٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣٦).

وفيه أنه يجب على المسلم أن يحب لأخيه كما يحب لنفسه فيتمنى له الخير ولا يتمنى له الشر، وقد جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)(١٣).

قال ابن رجب: لما نفى النبي ﷺ الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه دل على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته ، فإن الإيمان لا ينفي إلا بانتفاء بعض واجباته ، كما قال: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) الحديث. (١٤)

وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد ، وذلك واجب كما قال النبي ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا) (١٥)

فالمؤمن أخو المؤمن يحب له ما يحب لنفسه ويحزنه ما يحزنه، فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره أحب أن يكون لأخيه نظيرها من غير أن تزول عنه كما قال ابن عباس: إني لآمر بالآية من القرآن فأفهمها فأود أن الناس كلهم فهموا منها ما أفهم.

---

(١٣) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

(١٤) رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

(١٥) رواه الترمذي (٢٦٨٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٣).

وقال الشافعي: وددت أن الناس كلهم تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليَّ منه شيء. (١٦)

وفيه أن دخول الجنة برحمة الله عز وجل، ولكن لا بد من العمل الصالح، وقد جاء عن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ) قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ..؟ قَالَ: (لا، وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ **بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا...)(١٧)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ.؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ.

فَفَعَلُوا. فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ....؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، **فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**. (١٨)

قال النووي: إن الله تعالى لا يجب عليه شيء -تعالى الله- بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه وإذا أكرمهم ونعمهم

---

(١٦) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢١).

(١٧) رواه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

(١٨) رواه البخاري(٣٤٧٨).

وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه.

وأما قوله تعالى (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وقوله (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الزخرف ٧٢] ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله.

فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهى من الرحمة والله أعلم. (١٩)

وفيه أن المسلم ينبغي أن لا يأمن مكر الله قال تعالى: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف ٩٩].

وقد قال عمر رضي الله عنه: " لو أن رجلي الواحدة داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله". (٢٠)

وقال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِق وَجِل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن". (٢١)

---

(١٩) شرح النووي على مسلم (١٧ / ١٦٠)

(٢٠) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٧١)

(٢١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١)

وفيه أن الأعمال بالخواتيم وقد قال ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) (٢٢).

وفيه أن الجنة والنار أقرب إلى المرء من شراك نعله فعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ)(٢٣).

وفيه دليل على وجوب التحفظ عند إنكار المنكر من الكلام الذي يكون وبالاً على صاحبه؛ لأن بعض الناس عند إنكاره المنكر قد تحمله الغيرة فيتكلم على العصاة والمخالفين بكلام لا يليق ، فيكون إثم ذلك عليه ووباله عليه ، لذلك ينبغي على الإنسان أن ينكر المنكر بضوابط ، ولا يندفع في الإنكار إلى حد يزل فيه بلسانه أو بيده ، فيقع في منكر أشد ، فإنكار المنكر له ضوابط.

وفيه أن الله عز وجل وحده هو الذي يعلم الغيب ، قال تعالى: (قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ) [النمل: ٦٥].

وفيه أن القول على الله بغير علم من أعظم الكبائر التي توبق عمل صاحبها ، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

---

(٢٢) رواه البخاري (٦٦٠٧).

(٢٣) رواه أحمد (٣٦٥٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٦٢٤).

وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا **وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** [الأعراف:٣٣].

وفيه أن المسلم لا بد أن يتوخى الحيطة والحذر في معاملته لربه تبارك وتعالى، فيقف موقف العبودية.

هذا ما تيسر جمعه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****